

المحاضرة الرابعة: التيار الإنساني (ماسلو، روجرز)

- مقدمة:

ظهر تيار جديد في علم النفس في منتصف القرن العشرين، وهو كرد فعل على محدودية التحليل النفسي والسلوكية، عرف بـ"علم النفس الإنساني". ركز هذا التيار على الجوانب الإيجابية للطبيعة البشرية، مثل النمو، تحقيق الذات، والبحث عن المعنى.

في هذه المحاضرة، سنتناول أبرز رواد هذا التيار: أبراهام ماسلو بنظرية عن هرم الاحتياجات وتحقيق الذات، وكارل روجز بنظريته المتمركزة حول العميل والذات.

أولاً: نظرية تحقيق الذات لأبراهام ماسلو

يعد أبراهام ماسلو (Abraham Maslow) أحد أبرز مؤسسي علم النفس الإنساني، انتقد ماسلو النظريات التي تركز على الجوانب المرضية أو السلوكية الميكانيكية، واقترح بدلاً من ذلك نموذجاً يركز على الإمكانيات البشرية للنمو والكمال (Maslow, 1954).

1. النشأة والبدائيات:

- **الخلفية الشخصية:** ولد ماسلو عام 1908 في بروكين، وعاش طفولة صعبة وقاسية مع والدين متجاهلين، مما دفعه للهروب إلى عالم الكتب والمكتبات.
- **التحول الأكاديمي:** بدأ دراسة القانون في البداية، لكنه انتقل إلى جامعة ويسكنسن حيث تخصص في علم النفس وعمل مع القروود (Monkey Psychologist) (Engler, 2014).
- **التأثير الفكري:** تأثر بأعلام مثل "إدوارد ثرونديك"، و"أدلر"، وعلماء نفس "الجشطلت"، مما جعله يركز على الدافعية كعملية مستمرة لإشباع الحاجات (كفاي وآخرون، 2010).

2. هرم الاحتياجات وماهية الحاجات:

- **تدرج الحاجات:** رأى ماسلو أن الحاجات تتشكل في نظام هرمي، تبدأ من الحاجات الفيزيولوجية، تليها السلامة، ثم الانتماء والحب، وصولاً إلى حاجات التقدير.
- **حاجات النقص:** هي الحاجات الأساسية التي تلح في الإشباع أولاً، ولا يمكن الانتقال للمستويات العليا قبل استيفائها، والشخصية حسب ماسلو المتوازنة هي التي لا تعاني من نقص مزمن في الحاجات الأساسية، مما يسمح لها بالتوسع نحو القمة.
- **العالمية مقابل الثقافية:** الحاجات بحد ذاتها عالمية وموجودة عند كل البشر، لكن طرق إشباعها تختلف وتتحدد بناء على البيئة والثقافة والجيل، فبناء الشخصية في الجزائر مثلاً: قد يتخذ أساليب اشبعاً تختلف عن بيئات أخرى رغم تساويهما في الحاجة للأمان أو التقدير (Maslow, 1954).

خلاصة القول، تتشكل الشخصية وتتحدد ملامحها بناء على المستوى الذي تقف عنده في الهرم:

- ✓ **الشخصية في المستويات الدنيا:** تركز على البقاء والأمان (حاجات النقص)، وتكون مدفوعة بالخوف أو الحاجة إلى الآخرين.
- ✓ **الشخصية في المستويات العليا:** هي الشخصية التي تجاوزت القلق المادي لترتكز على التقدير والانتماء ثم تحقيق الذات.

3. تحقيق الذات:

■ **تعريف تحقيق الذات:** هو ميل الفرد لأن يكون مفعلاً في الجوانب التي يمتلك فيها إمكانيات ، الطبيعة الإنسانية هنا فطرية وليست مصنوعة).

وعليه يؤكد ماسلوا أن بناء الشخصية يعتمد على طبيعة إنسانية فطرية وليست مصنوعة أو مكتسبة بالكامل من البيئة من خلال:

- ✓ الإنسان لديه ميل داخلي لتفعيل قدراته الكامنة.
- ✓ الشخصية السوية هي التي تنجح في تحويل الإمكانيات إلى واقع ملموس.
- **خصائص المحققين لذواتهم:** وصف ماسلو الأفراد الذين وصلوا إلى مستوى تحقيق الذات بامتلاكهم لخصائص معينة، منها:
 - إدراك واقعي ومقبول للذات والآخرين والعالم.
 - تلقائية وبساطة وطبيعة في التفكير والسلوك.
 - التركيز على المشكلات بدلاً من الذات.
 - الحاجة إلى الخصوصية والاستقلالية.
 - تقدير متجدد للحياة.
 - تجارب الذروة التي تتسم بالنشوة والعمق الروحي.
 - اهتمام اجتماعي عميق.
 - علاقات شخصية عميقة ومميزة.
 - قيم ديمقراطية.
 - روح الدعابة الفلسفية.
 - الإبداع.
 - مقاومة الثقافة (عدم الانصياع الأعمى للثقافة السائدة).
- **الاستثناءات:** أشار ماسلو إلى وجود حالات استثنائية مثل غندي يمكن فيها للأفراد إنكار حاجاتهم الدنيا والسعي نحو المستويات العليا المباشرة.

ختاماً، بناء الشخصية عند ماسلو ليس ساكناً، بل هو عملية ديناميكية مستمر، الشخصية تتحرك وتتطور من خلال الدوافع التي تدفع الإنسان لإشباع حاج معينة، بمجرد إشباعها حاجة، تبرز حاجة أعلى تشكل نمط الشخصية وسلوكها في تلك المرحلة (Friedman,2025).

وعليه بناء الشخصية حسب ماسلو هي رحلة صعود من المتطلبات البيولوجية والأمنية إلى تحقيق الإمكانيات الإنسانية العليا والفريدة. أي مرتبط بمدى إشباع الحاجات الإنسانية المرتبة هرمياً.

ثانياً: نظرية تحقيق الذات كارل روجرز

يعتبر كارل روجرز (Carl Rogers) أحد الرواد البارزين في علم النفس الإنساني، وقد ركز على مفهوم الذات وأهمية التقدير غير المشروط في النمو السوي (روجرز، 2004).

1. مفهوم الذات (Self-Concept):

يرى روجرز أن الذات هي جوهر الشخصية، بناء الشخصية هو عملية مستمرة يبدأ فيها الطفل بتمييز نفسه عما يحيط به. وتتكون من:

- **الذات الواقعية (Real Self):** وهي الصورة الحالية للفرد عن نفسه، أي إدراك الفرد لما هو عليه الآن (أنا كأستاذ، أنا كشخص اجتماعي)، بما في ذلك نقاط قوته وضعفه.
- **الذات المثالية (Ideal Self):** وهي صورة التي يطمح الفرد أن يكون عليها، أو ما يعتقد أنه يجب أن يكون عليه.
- **البناء السليم:** يحدث عندما تكون الفجوة بين الذات الواقعية والمثالية صغيرة، مما يؤدي إلى حالة من التوازن النفسي.

2. النزعة الفطرية لتحقيق الذات:

يفترض روجرز أن الإنسان يولد ومعه دافع أساسي لبناء الشخصية وتطوير قدراته، فالشخصية ليست مجرد ردود فعل للمؤثرات الخارجية، بل هي كيان ينمو نحو النضج والاستقلالية، أي بناء الشخصية يشبه نمو النبتة، فهي تمتلك الدافع الداخلي لنمو، لكنها تحتاج لبيئة مناسبة (تربة، ماء، ضوء) لتزدهر.

3. التوافق (التطابق) وعدم التوافق (عدم التطابق) (Congruence and Incongruence):

بناء الشخصية يتأثر بمدى التوافق بين الخبرة والذات:

- **التوافق (التطابق):** يحدث عندما تكون الذات الواقعية والذات المثالية متطابقتين أو متقاربتين، هذا يؤدي إلى الصحة النفسية والرضا عن الذات. فالشخصية المتطابقة هي التي تتقبل مشاعرها (غضب أو خوف) وتعترف بها، هذا الانفتاح يؤدي إلى بناء شخصية قوية ومرنة.
- **عدم التوافق (عدم التطابق):** يحدث عندما يكون هناك تباعد كبير بين الذات الواقعية والذات المثالية، هذا يؤدي إلى القلق، التوتر، والاضطرابات النفسية. فالشخصية غير المتطابقة هي التي تنكر واقعها لتتطابق مع صورتها المثالية، مما يؤدي إلى بناء شخصية هشّة عرضة للقلق والتوتر.

4. التقدير غير المشروط (Unconditional Positive Regard):

يتوقف بناء الشخصية السوية عند روجرز على نوع التقدير الذي يتلقاه الفرد من المحيطين به (خاصة الوالدين في البداية)، و يعتقد روجرز أن النمو النفسي السوي يتطلب بيئة توفر شروط أساسية:

- **التوافق (Genuineness/ Congruence):** أن يكون المعالج (أو الوالد) صادقاً ومنفتحاً في تعامله.
- **التقدير المشروط:** إذا كان الطفل يشعر أنهم محبوب فقط إذا نجح، فإنه يبني شخصية قائمة على إرضاء الآخرين وتزييف مشاعره، مما يؤدي إلى التشويه.
- **التقدير غير المشروط:** قبول الفرد كما هو، دون شروط أو أحكام، مما يساعده على تقبل ذاته، ويستطيع بناء شخصية أصيلة ومنفتحة على الخبرة، ولا يخشى من الوقوع في الخطأ.

▪ **الفهم التعاطفي (Empathic Understanding):** القدرة على فهم مشاعر الفرد من وجهة نظره

خلاصة القول ، الهدف النهائي لبناء الشخصية عند روجرز هو الوصول لدرجة كامل الأداء، وتتميز هذه الشخصية بالآتي:

- ✓ **الانفتاح على الخبرة:** عدم الدفاعية تجاه المشاعر الجديدة.
- ✓ **العيش الوجودي:** الاستمتاع باللحظة الراهنة وتجاربها.
- ✓ **الثقة العضوية:** الثقة في المشاعر والحدس الداخلي لاتخاذ القرارات (كيفافي، 2010).

باختصار روجرز يرى أن الشخصية ليست بناء ثابتا بل هي عملية صيرورة الإنسان يبني شخصيته من خلال تجاربه الذاتية ومدى صدقه مع نفسه وتقبله لذاته وللآخرين. أي الشخصية تزدهر في مناخ من التقدير غير المشروط.

- خاتمة:

لقد قدم التيار الإنساني منظورا متفائلا للشخصية، مؤكدا على قدرة الإنسان على النمو، التطور، وتحقيق إمكاناته الكامنة، ورغم أن هذه النظريات قد واجهت انتقادات لافتقارها أحيانا للمنهجية العلمية الصارمة، إلا أنها أثرت بشكل كبير في العلاج النفسي (خاصة العلاج المتمركز حول العميل) وفي مجالات التعليم والتنمية البشرية، وساهمت في إبراز أهمية العوامل الذاتية والإيجابية في فهم السلوك البشري.